العنف الحضري في الجزائر: دراسة تحليلية سوسيولوجية

Urban Violence in Algeria :a Sociological Analytical Study

سبعون سعيد: أستاذ محاضر أ
دريوش وداد: أستاذة محاضرة أ
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة البليدة 2

تاريخ إرسال المقال: 2018/10/17 **تاريخ قبول المقال:** 2018/12/05

ملخص

نحاول من خلال هذا المقال أن نتعرف على مميزات العنف الحضري وخصائصه في واقع المجتمع الجزائري المعاصر. ولهذا العنف الحضري مظاهر وأشكال يتم بها في الفضاء العام، وهو عبارة عن ممارسات اجتماعية إنحرافية يلجأ إليها عموما شباب حاملين لصفات اجتماعية معينة كالبطالة، التسرب المدرسي، التفكك الأسرى والانحراف. وهذا العنف الحضري يكون في علاقة بجملة التحولات والتغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري منذ ثمانينيات القرن الماضي ،حيث كان لهذه التحولات والتغيرات الاجتماعية أثر بارز في حركية هذا العنف الحضري وتوجيهه وإعطاءه طابعا مميزا، ووضوحا إعلاميا سيما مع ما يعرف بالشغب الذي أصبح من أهم مظاهر العنف الحضري في الجزائر، ولم يعد مقتصرا على الفئات المنحرفة من الشباب، بل توجد فئات أخرى مندمجة مهنيا واجتماعيا تمارسه نتيجة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تواجهها.

الكلمات المفتاحية: العنف الحضري؛ التغير الاجتماعي؛ اللاتحضر؛ ثقافة الشارع، الشغب.

Abstract

In this article, we try to determine the characteristics of urban violence and its characteristics in the reality of modern algerian society. This urban violence has manifestations and forms in the public sphere, it is a social

المؤلف المرسل: سبعون سعيد، saidsebaoun66@gmail.com

practice that is generally used by young people with certain social characteristics such as unemployment, school dropout, family disintegration and deviation.

This urban violence is related to the changes and transformations that Algerian society has known since the Eighties of the last century, where these transformations and social changes had a prominent effect on the dynamics of this urban violence and orientation and give it a distinctive character, But there are other categories that are professionally and socially integrated, which are using it due to result of **the difficult** economic and social conditions they face.

Key words: Urban violence; social change; De-urbanization; Street culture; Riot.

1- مقدمة

يعتبر العنف الحضري ظاهرة اجتماعية تميز المجتمعات الحديثة . لقد أصبح العنف الحضري في الوقت الحالي حديث الساعة، ويحتل مكانة هامة من حيث الاهتمام به أمنيا وإعلاميا بحيث نجد الخطاب الإعلامي الحالي يخصص له أوقات وصفحات يحاول من خلالها الوقوف عند جوانب عديدة من هذه الظاهرة، لقد أضحت هذه الظاهرة انشغالا يؤرق الحكومات وأجهزة الأمن بل كل فئات المجتمع التي تواجه هذه الظاهرة، التي ما فتئت تتعاظم وتتفاقم حدتها ويتوسع نطاق نشاطها جغرافيا واجتماعيا.فكل مدن العالم تواجه هذه الظاهرة، وجل التقارير الأمنية تؤكد هذا الاتجاه وتعززه بإحصائيات تدل على المنحى التصاعدي الذي يتميز به العنف الحضري منذ سنوات. وهو العنف الذي أصبح يميز الفضاءات الحضرية في الجزائر، مثلما تشير إلى ذلك التقارير الصحفية والتقارير الأمنية بحيث تطلعنا الصحافة يوميا عن أشكال عنف تعرفها الفضاءات الحضرية في مناطق عديدة في الجزائر.

وسنحاول في هذا المقال، الوقوف عند جوانب ظاهرة العنف الحضري في المجتمع الجزائري من خلال تحديد الخصائص والمميزات السوسيولوجية لهذه الظاهرة وما تحمله من دلالات ومعان اجتماعية في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع الجزائري. وما هو تأثير التحولات والتغيرات الاجتماعية التي تعرفها الجزائر في إتجاه هذه الظاهرة ؟

الإشكالية

لقد أضحت المسألة الأمنية رهانا عالميا تعقد لها الندوات والمؤتمرات الدولية. فالأمن أصبح محل اهتمام كل الدول وكل المجتمعات. ومما لا شك فيه أن الظواهر المتعلقة بالمسألة الأمنية سواء تعلق الأمر بالجرائم في كل أشكالها وأنواعها والانحرافات كلها تتعارض والمعايير الاجتماعية التي تضبط سير المجتمع. ومن بين

هذه المسائل الأمنية نجد ما يسمى بالعنف الحضري الذي أخذ مكانة في المعادلة الأمنية الداخلية لدى كل المجتمعات، هذا العنف الحضري الذي يرتبط بتطور المجتمعات وتقدمها، وبالأخص بالتطور الصناعي وبإنشاء الفضاءات العمومية الحديثة التي تحتل فيها الفضاءات السكانية والتجمعات السكنية حيزا كبيرا.

لقد أثبتت أولى الدراسات السوسيولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية، سيما مع ما عرف بمدرسة شيكاغو، الارتباط الوثيق بين التوسع الاقتصادي والتطور الصناعي وتنامي المشاكل الحضرية، والتي نجد من ضمنها مظاهر الانحرافات الحضرية، نتج عنها نوع من الاختلال أو غياب التنظيم الاجتماعي. فكل المجتمعات التي عرفت تطورا صناعيا وعمرانيا إلا وواجهت أشكال العنف الحضري. فعلى سبيل المثال دون الحصر، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كان لها السبق في الاهتمام بالعنف الحضري، خاصة مع مدرسة شيكاغو: «لقد كان السياق الاجتماعي مواتيا تماما لانطلاق البحث السوسيولوجي. حيث انتقلت شيكاغو من مقاطعة تضم 4500 قاطن في سنة 1840 إلى عاصمة اقتصادية جهوية ومدينة متشعبة تضم 1.7 مليون نسمة في سنة 1900م. وهذا الانفجار الاقتصادي والاجتماعي، والإنساني يرتكز على هجرة السود وعلى جالية أوروبية، وكل هذا تم في إطار اختلال اقتصادي، وفساد سياسي، وفي الأخير في ظل غياب تنظيم اجتماعي لم يسبق له مثيل...في هذا السياق كان العنف ما بين الأشخاص، وما بين الجماعات على نطاق واسع ».[1]. لقد أصبح العنف الحضري منذ ثمانينيات القرن الماضي، وهي الفترة التي ظهر فيها هذا المصطلح، يحتل الصفحات الأولى للجرائد، وافتتاحيات نشرات الأخبار.

لكن، ومن هنا ننطلق في أسئلتنا المهيكلة لإشكاليتنا، هل هذا العنف الحضري له علاقة مع التغيرات التي يعرفها المجتمع؟ وهل هذا العنف الحضري هو بمثابة تعبير عن صعوبة تجدها فئة الشباب الذين يعتبرون بمثابة العمود الفقري والفاعل الرئيسي في العنف الحضري في مواجهة مختلف المشاكل التي يواجهونها بالكيفيات السلمية وبالطرق الشرعية، إلا باستعمال أشكال العنف؟كيف تتمظهر هذه الظاهرة في واقع المجتمع الجزائري الحالي؟ وما هي الأسباب الاجتماعية التي تؤدي إلى وجودها؟

كل هذه الأسئلة نحاول إسقاطها على واقع المجتمع الجزائري الذي عرف تحولات وتغيرات اجتماعية كمية ونوعية مست مختلف الجوانب الاجتماعية. كما عرف حراكا اجتماعيا هاما مس الهياكل والبنيات المادية، وكذلك أنظمة التمثلات وأشكال الوعي الفردي والاجتماعي. ومن بين المظاهر التي تسمح لنا بأن نستشف مدى التحولات الاجتماعية التي مست المجتمع الجزائري، نجد ظاهرة العنف الحضري.

الفرضيات

وضعنا لهذه الدراسة فرضيتين نحاول من خلالهما أن نفسر واقع مظاهر العنف الحضري في المجتمع الجزائري الحالي.

- يأخذ العنف الحضري أشكالا معينة حسب خصائص المجتمع الجزائري.
- يؤدي السياق الاجتماعي الحالي للمجتمع الجزائري إلى بروز أعمال شغب (émeute) كأهم خاصية للعنف الحضري.

المنهجية المتبعة والأدوات المستعملة

اعتمدنا في هذا المقال على المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج الملائم لهذه الدراسة،حيث قمنا بمحاولة وصف بعض مميزات ظاهرة العنف الحضري وخصائصها وتمظهراتها من منظور الخطاب الصحفي الذي يعتبر مادة هامة لمصدر المعلومات ومحاولة تحليل واقع ظاهرة العنف الحضري من منظور الخطاب السوسيولوجي. وهذا باستعمال تقنية تحليل المحتوى المواضيعي، حيث كنا نركز على مواضيع لها علاقة بأهداف دراستنا هذه، ونقوم بتحليلها من زاوية التحليل السوسيولوجي.

واخترنا لهذا الغرض مجموعة من المقالات من الصحف الوطنية لها علاقة بموضوع هذا المقال، وكذلك اعتمدنا على عينة من مؤلفات سوسيولوجية أساسا لها علاقة بالموضوع.

2- العنف الحضري : محاولة تحديد من منظور سوسيولوجي

ليس بالأمر الهين إعطاء تحديد مباشر لمصطلح العنف الحضري وتأتي هذه الصعوبة نظرا إلى غياب تحديد مؤسساتي (قانوني) لهذا المصطلح :«ليس ثمة تعريف رسمي للعنف الحضري، ومن هنا تأتي صعوبة التحديد المنسجم لهذه الظاهرة »[2].

لقد ظهر هذا المصطلح في نهاية ستينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية ليظهر في فرنسا في ثمانينيات القرن الماضي كذلك. ومما يلاحظ على هذا المصطلح هو الرجوع إلى الطابع العملياتي الملموس لإمكانية التعرف عليه، أي أن هذا المصطلح يصبح قابلا للملاحظة من خلال مجموعة من المؤشرات التي هي عبارة عن ممارسات وتصرفات اجتماعية من خلال اللجوء إلى أعمال شغبémeutes، حرق للسيارات أو لمقرات عمومية أو محلات خواص أو تخريب أملاك عمومية وخاصة، وأعمال نهب جماعي للمحلات أو لمساحات بيع، ووضع حواجز ومتاريس وإحراق لإطارات السيارات وسط الطريق العمومي.و هناك من يذهب إلى أصل تسمية عنف حضري تعود إلى مصالح وأجهزة الأمن: «في الأصل، فإن عبارة "عنف حضري" تم

اختراعها من طرف خطاب الشرطة في ثمانينيات القرن الماضي، ثم قام كل من وسائل الإعلام والسياسيين بالاستحواذ على هذه العبارة للإشارة إلى حالات العنف الاستثنائية على غرار أعمال الشغب» [3].

و يمكن إعطاء تحديد سوسيولوجي للعنف الحضري بالقول :إن ظاهرة العنف الحضري هي مجموعة من ضروب السلوك والممارسات الاجتماعية التي تتخذ من العنف شكلا للتعبير عن عدم رضا عن وضعيات اجتماعية يحتلها الأفراد الذين يلجأون إلى هذا النوع من الممارسة، ويتم ذلك في إطار حيز جغرافي معين أو فضاء اجتماعي وعمومي هو المدينة . يستدعي منا هذا التعريف التوقف عند بعض الحدود، حتى نتمكن من الإلمام السوسيولوجي بظاهرة العنف الحضري . ولكي يتسنى ذلك نحاول أن نفكك مكونات التعريف الذي قمنا بتقديمه أعلاه .

فبالنسبة إلى العنف، فهو ظاهرة اجتماعية تاريخية، تتميز بكل خصائص الظاهرة الاجتماعية التي حددها دوركايم على النحو الآتي: «الظاهرة الاجتماعية هي كل ضرب من السلوك، ثابتا كان أم لا، يمكن أن يمارس نوعا من القهر على الفرد، أو أيضا الذي يكون عاما على امتداد مجتمع معين بحيث يكون له وجود خاص، مستقل عن مظاهره الفردية » [4].

فالعنف إذا هو ظاهرة، أي ما يقع تحت الملاحظة لها ثلاث خصوصيات أساسية نتعرف عليها بها وهي ممارسة أو سلوك يتميز بالإلزامية، أو أن الفرد وجد قبله وسيبقى بعده، ثم أن هذه الممارسة تتميز بالانتشار داخل المجتمع . ويمكن أن نعرف ظاهرة العنف من منظور علم الاجتماع على النحو الآتي: «هو المساس بالجسد، والتعدي على الأشخاص، وعلى الكرامة، وعلى القيم »[5].

وكما نلاحظ من خلال هذا التعريف فإنه لا يتوقف على الجانب المادي لممارسة العنف،بل يتعداه أيضا إلى الجانب القيمي المعياري.فالفرد في هذه الحالة يكون محل تلقي عنف جسدي وعنف قيمي.لكننا نلاحظ أن هذا اقتصر على الأشخاص، وعلى الأفراد في مستوييهما المادي والقيمي، ولم يتطرق إلى الممتلكات التي غالبا ما يتم إدماجها في تعريف العنف! بحيث عادة ما يكون العنف قابلا للملاحظة، عندما ينتقل إلى الممتلكات بحيث يمكن للرغبة في الحصول على ما يمتلكه الآخر أن تؤدي إلى استعمال العنف من أجل الحصول عليه كأن يتم كسر نوافذ السيارات من أجل الحصول على ما هو موجود في داخلها، أو إحداث أضرار بمسكن بغرض الاستيلاء على أغراض ما.

ويمكن أن نعرف العنف كذلك بأنه: «فعل متعمد يقصد إلحاق الضرر أو التلف أو تخريب أشياء أو ممتلكات خاصة أو عامة أهلية أو حكومية، عن طريق استخدام القوة »[6]. من ناحية أخرى، فإن تعريف العنف يرتبط بحالة الانحراف الذي يميزه كممارسة وكضروب سلوك تجاه معايير اجتماعية معينة : «إن العنف مفهوم حد لا يتم رسمه إلا في علاقته بمعايير يقوم بمعارضتها... إنه يستدعي فكرة انحراف أو مخالفة قواعد تعرف بأنها عادية أو شرعية، أي فكرة إحداث اضطراب في نظام الأشياء»[7]. هذه بصفة جد مختصرة بعض التعاريف التي من شأنها أن تضع لنا المعايير والمقاييس المشتركة لتحديد مدلول العنف بصفة عامة.

3- بداية الاهتمام بظاهرة العنف الحضري في علم الاجتماع : روبرت ازرا بارك

مما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت البلد الرائد في الاهتمام بظواهر العنف والانحراف أكثر من البلدان الأخرى من منظور المقاربة السوسيولوجية، حيث كانت مدرسة شيكاغو نقطة انطلاق الدراسات السوسيولوجية في كل ما يتعلق بمظاهر العنف والانحراف في الفضاء الحضري: « في علم الاجتماع ، فإن التحليل الذي يعتمد على مظاهر التهميش والانحراف انطلق مع مدرسة شيكاغو والتفاعلية الرمزية .... تلح مدرسة شيكاغو، منذ بداية القرن العشرين، على الارتباط الموجود بين التحضر والتمدن)، والهجرة، والتمييز الاجتماعي والفضائي، والغيتوهات، والتهميش وارتفاع نسبة الجريمة في المدن الكبرى الأمريكية التي عرفت توسعا مذهلا على غرار مدينة شيكاغو . و كان رائد هذه المدرسة هو " **روبرت إزرا بارك** " ، ففسر على سبيل المثال كيف يمكن للظواهر الهامشية أن تصبح بمثابة حرفة، أو بمثابة مسار في فضاء المدينة ...إن الفكرة الأساسية التي استند إليها الباحثين في علم الاجتماع في مدرسة شيكاغو هي أن الفقر يمثل أرضية ملائمة لوجود مظاهر التهميش و الجنح من كل نوع »[8].

كان **لروبرت إزرا بارك** تأثير في فتح مجال البحث في ظواهر الانحرافات في الفضاءات الحضرية، حيث اعتبر المدينة بمثابة مخبر اجتماعي من شأنه أن يسمح بمعرفة ظروف المعيشة في المدن، حيث يرى أن المدينة توفر الجو الملائم لإطلاق العنان للسلوك المنحرف و الإجرامي. « كما يظهر تأثير **بارك** و إسهامه الكبير في فتح مجال البحث في علم اجتماع الانحراف من خلال مقال هام نشره عام 1916 تحت عنوان : "المدينة " : مقترحات بحث حول السلوك الإنساني في الوسط الحضري، و الذي يمكن أن نعتبره كمؤسس للتوجه الجديد، حيث ساهمت هذه الإشكالية في انطلاق و توجيه بحوث عديدة حول ظواهر الانحراف...أما عن الطرق التي تم استعمالها

و تفضيلها في دراسة هذه الظواهر في الوسط الحضري، فنجد الدراسات المونوغرافية للأحياء، الملاحظة بالمشاركة، و سرد سير الحياة »[9].

و على العموم يمكن أن نقول إن **روبرت بارك** يلح على عدم وجود أي ارتباط بين نوع الساكنة سيما مع الأصول الإثنية و وجود مظاهر الانحراف و العنف ، بل إنه يرجع ذلك إلى خصوصيات بعض المناطق الحضرية مما جعله يلجأ إلى ابتكار مفهوم الايكولوجيا الحضرية. « لقد كانت قناعة روبرت بارك أن يبين أن ظواهر الجنوح ، والانتحار، والطلاق، وإقامة نوع خاص من المؤسسات له علاقة ببعض المناطق الحضرية و ليس بطبيعة السكان التي تعرف بأصلها الاثني »[10]

إن المجال الواسع الذي فتحه **روبرت بارك** في الاهتمام بالظواهر التي تميز الفضاء الحضري التي تميزت بانتشار واسع لمظاهر الانحراف سيما في مدينة شيكاغو، أدت إلى بروز مشاريع بحث في هذا المخبر الاجتماعي الذي هو المدينة.ساهم في دفعه ونشاطه مجموعة من الباحثين الملتفين حول بارك و المهتمين بتطوير إشكالية بحثه، أمثال **بورجس وفاريس وماكنزي**. هذه الإشكالية السوسيولوجية التي إحتلت ضمنها الظواهر الحضرية و العلاقات بين مختلف الأجناس من المهاجرين إلى شيكاغو، وكذلك التصرفات الجماعية داخل الفضاء الحضري مكانة هامة في تحاليل روبرت بارك الذي سعى إلى إيجاد تفسيرات من زاوية علم الاجتماع لما تعرفه شيكاغو من ظواهر، سيما الظواهر التي تدل على الاختلالات الاجتماعية و الانحرافات . مع الإشارة إلى أن بارك اشتغل في مجال الصحافة، مما جعله يكون مدقق الملاحظة بخصوص الظواهر الحضرية، وهذا ما ساعده على تدقيق تحاليله في علم الاجتماع بخصوص هذه الظاهرة من خلال العمل الميداني الذي لم يتوقف عن القيام به حتى بعد استقدامه كأستاذ من طرف **وليام توما** إلى جامعة شيكاغو. « عندما إلتحق بجامعة شيكاغو، كانت لدى **روبرت بارك** تجربة هامة في مختلف أشكال التحقيق الميداني ...حيث ساعده ذلك على تطوير تحاليله اللاحقة في ميادين : الظواهر الحضرية، و العلاقات بين الأعراق، و الممارسات الجماعية، حيث يعتبر نشر هذه المواضيع في الصحافة مثال على اهتمامه بها...مما جعله يكرس كتاباته الأولى باعتباره أستاذ، إلى تناول مختلف جوانب الظواهر الحضرية و الذي انبثق عنه برنامج بحث قام بإنجازه تلامذته في جزء منه. مع الإشارة إلى أن فكرة هذا البرنامج تم اقتراحها عليه من طرف وليام توما »[11] .

4- ظاهرة العنف الحضري في الجزائر: نماذج من مقالات صحفية كمنطلق لمحاولة تحليل سوسيولوجي

لا نبالغ إذا قلنا إن الخطاب الإعلامي هو الذي يعطي الوضوح والرؤية للعنف الحضري، ولما نقول هذا، فإننا لا نقصد البتة أن الخطاب الإعلامي هو الذي (يخلق)

ويبتكر العنف الحضري. إذ توجد محددات اجتماعية بالدرجة الأولى تتسبب في إنتاج هذا العنف الحضري. صحيح أن الخطاب الإعلامي قد يساهم في تأجيج الأوضاع في الفضاءات الحضرية، إذا كان في منطق عمل يبحث عن الفرجة والإثارة من خلال تصويب عدسات الكاميرات على سلوكات وظواهر وتصرفات معينة دون غيرها ولا يكلف نفسه اللجوء إلى الأسباب الفعلية الكامنة وراء حدوث هذا العنف الحضري واندلاعه من خلال عرض موضوعي لحيثيات الموضوع بعيدا عن أي تحيز سواء بالصورة، أو بالكلمة.

فالمعالجة الإعلامية – سيما البصرية – تعتبر دعامة هامة لأي محاولة للتوقف عند مميزات العنف الحضري وتمظهره، لأن وضوح هذا العنف وبروزه وجعله محل أنظار غالبا ما يكون بفضل الاهتمام الإعلامي به. فالمعالجة الإعلامية على الرغم من قصورها من وجهات نظر عديدة ومتعددة، إلا أنها تعطينا المعلومة والمادة الأولية التي تكون بمثابة نقطة الانطلاق للقراءة السوسيولوجية.

تطلعنا الصحافة الوطنية يوميا عن مظاهر هذا العنف الحضري، ومختلف أشكال الجريمة التي تعرفها مناطق عديدة في الجزائر. فعلى سبيل المثال تطرقت جريدة الشروق اليومي إلى أحداث عنف في مركز حضري في شرق البلاد: « اندلعت الليلة ما قبل الماضية معركة طاحنة بين مجموعتين من الأشخاص في وسط مدينة بريكة بولاية باتنة، ثم انتقلت إلى الشوارع المجاورة لتستقر في مستشفى المدينة، حيث أسفرت عن سقوط مالا يقل عن عشرة أشخاص من بينهم أربعة في حالة خطيرة.

واستنادا إلى شهود عيان، فإن هذه الأحداث الدامية وقعت في حدود التاسعة والنصف ليلا عندما نشب شجار عنيف بين شخصين..في وسط المدينة، لينتقل في لمح البصر إلى أحد المحلات التجارية المجاورة، أين بدا التراشق بالكراسي، وقد زادت حدة الشجار عندما التحق ذوو المتخاصمين وكانوا مدججين بالأسلحة البيضاء من خناجر وسيوف وهراوات وقضبان حديدية، ليدخلوا في معركة طاحنة ويبدأ الكر والفر في الشوارع، حيث اضطر التجار إلى غلق محلاتهم التجارية، فيما لم يتمكن أصحاب السيارات من الالتحاق بمركباتهم التي كانت مركونة في مكان الشجار، وقد تحطم بعضها نتيجة التراشق بالحجارة والسواطير، واستعمال الهراوات والقضبان. أما المعركة فقد انتقلت إلى المكان المعروف باسم "الرامبوان"، بقلب المدينة أين أصيب عدد من المتخاصمين بجروح، حيث تم نقل ثلاثة منهم إلى مصلحة الاستعجالات بالمؤسسة العمومية الاستشفائية ..و قد دامت هذه المعركة نحو ساعة من الزمن، لكنها تواصلت في مصلحة الاستعجالات أين تحولت هي الأخرى إلى ساحة للكر والفر، واضطر المرضون إلى الاختباء، فيما غادر المرضى المكان خوفا على حياتهم

...لتتدخل عناصر الأمن، فأوقفت بعضهم ...أما المواطنون فقد استهجنوا مثل هذه الشجارات التي انتشرت مؤخرا بشكل رهيب، حيث لا تكاد تمر ليلة واحدة دون وقوع شجار جماعي، وطالبوا بتكثيف دوريات الأمن، وانتشار الأعوان في مختلف الأحياء السكنية، بدءا بوسط المدينة »[12].

من هذا المقطع الصحفي، تتضح لنا عناصر قراءة سوسيولوجية تتصدرها توقيت اندلاع مظاهر العنف الحضري. ويتعلق الأمر بالليل، الذي يعتبر التوقيت والتزمين الملائم الذي ينشط فيه فاعلو العنف الحضري وهذا ما من شانه أن يضمن لهم نوع من عدم التعرف عليهم وعلى هوياتهم، خاصة إذا كان الفضاء الحضري الذي يجرى فيه هذا العنف يتميز بانعدام الإنارة أو ضعفها. وغالبا ما يتم تخريب الإنارة العمومية في ظل ممارسات عنف ضد ممتلكات عمومية.

بالإضافة إلى عنصر التوقيت والتزمين الملائم عموما لاندلاع هذا العنف الحضري، يمكن أن نحدد من خلال عينة هذا المقال، أن من بين مؤشرات هذا العنف الحضري نجد العنف الممارس من طرف الأشخاص ضد بعضهم البعض، انطلاقا من عنف يتمثل في شجار بين شخصين على الأقل. والذي يكون نقطة انطلاق مشدات وضرب متبادل يتعدى الشخصين إلى عدة أشخاص، عندما ينتج نوع من التضامن الآلي والعفوي لطرفي هذا الشجار.حيث يتجند أفراد آخرون للدفاع عن هذا الطرف أو ذاك ساعين إلى إلحاق الضرر الجسدي، سواء باللجوء إلى أجزاء من الجسد، الرأس، أو اليدين من خلال توجيه اللكمات، أو بالأرجل من خلال الرفس، وكذلك السحل أي جر الأشخاص وسحبهم على الأرض، أو باللجوء إلى السلاح الأبيض أو العصي أو الهراوات، أو حتى باستعمال الحجارة ذات السمك الخشن ورشق الطرف الآخر بها.

في هذا السياق يحدد "سبريان أفونل" أربع خصائص رئيسية يتميز بها العنف الحضري:«بإمكاننا أن نستخرج أربع خصائص أكثر أو أقل خصوصية للوضعية الحالية للأحياء. زيادة حدة قساوة العنف الجسدي بين الشباب أنفسهم، تجذر اقتصاد مواز مرتبط أساسا بانتشار المخدرات، نمو العنف الموجه ضد المؤسسات، ظهور أعمال الشغب الحضرية وبقائها »[13].

5- خصائص العنف الحضري في الجزائر

5-1- عنف يميز الشباب أكثر

إن أغلبية الدراسات التي تطرقت بالاهتمام إلى ظاهرة العنف مهما كانت مظاهره، مثلما تطلعنا كذلك وسائل الإعلام إلا وأنها تشير إلى أنه عنف شبابي بامتياز، حيث يكون هؤلاء الشباب في الواجهة بل أكثر من ذلك، هناك فئة المراهقين التي احتلت مكانة " لا يستهان بها " ! في إشكالية العنف الحضري.فيكفي

أن نعود إلى الفضاء الدراسي الذي يمثل فيه المراهقون نسبة معتبرة، لنرى ان مسألة العنف داخل الفضاء المدرسي والتعليمي ليس ضربا من الخيال الإعلامي، أو مجرد أحاديث في مواقع التواصل الاجتماعي بل هو ظاهرة تميز، حتى لا نقول جل المؤسسات التربوية، عدد كبير منها في الجزائر. مع الإشارة إلى أنه من الصعب أن نحصل على أرقام دقيقة وحاملة لمصداقية موضوعية فيما يخص هذا النوع من العنف: «لكن من الصعب أن نحصل على قياس موضوعي للعنف المدرسي لأن مصداقية الأدوات الإحصائية ليست مضمونة تماما »[14].

بالإضافة إلى هذا الشكل من العنف هناك كذلك في ملاعب كرة القدم، والذي يمتد إلى خارج أسوار ملاعب كرة القدم وميادينها مما يجعلنا نعتبره عنفا حضريا ينطبق عليه المقياس الأول أو الخاصية الأولى والمتعلقة بعامل تزايد حدة العنف الممارس ضد الشباب أنفسهم.

إن الميزة الرئيسية لفضاءات ممارسة لعبة كرة القدم هي أنها مساحات متواجدة في الفضاءات الحضرية، في المدن، والعديد منها يقع ليس ببعيد عن التجمعات السكانية. وهي بالأساس مقصد فئة الشباب، وإن كان يأتي إليها غير فئة الشباب من الكهول، لكنهم ليسوا بنفس مستويات أعداد تواجد الشباب.

إن لقاءات كرة القدم في ملاعب الجزائر من كل مستويات رابطات كرة القدم تستقطب عدد هام من جمهور الشباب الذين يأتي أغلبهم بصفة حرة، أي لا يكونون مؤطرين من طرف لجان الأنصار .التي لا يبدوا أنها تملك ثقلا في موازين القوى في مدرجات الملاعب لتكون العفوية والارتجالية للمناصرين هي المحدد لسير المجريات والفعاليات والتنشيط في هذه المدرجات. ومن الناحية السوسيولوجية فإن فضاء الملعب ومحيطه الخارجي هما فضاءين لوجود ما يسميه إميل دوركايم، بالتأثيرات الاجتماعية :«فعندما تتصرف الجماعة ويتوقف فعل التأثيرات الاجتماعية فينا، ونجد أنفسنا وحدنا فإن المشاعر التي مررنا بها تصبح كشيء غريب لم نعد نتعرف عليه، حينها ندرك أننا تلقيناها أكثر مما قمنا بفعلها. ويحدث أن ننفر منها. طالما أنها كانت تتعارض وطبيعتنا، هكذا، يمكن لأفراد مسالمين تماما، إذا ما تجمهروا وكانوا في حشد، أن يقوموا بأفعال بطش »[15] . أفعال البطش تلك التي يرجعها دوركايم إلى حتمية اجتماعية تتجاوز حدود إرادة الفرد ورغباته.

ففضاء الملعب ومحيطه يمكن اعتبارهما بمثابة عناصر أو عوامل أو مؤشرات لحتمية اجتماعية تؤثر في هذا المناصر ليلجأ إلى أعمال عنف بحكم السياق الاجتماعي العام الذي يتواجد فيه، والمتمثل في الحشد أو الجمهور الذي يلعب دور جذب وجر اجتماعيين.مما يؤدي إلى ارتكاب أشكال عنف تجاه أشخاص آخرين في

نفس سنهم، أو رشق ميدان اللعب بالحجارة، أو بقطع خشبية يتم إقتلاعها من المقاعد الخشبية، ناهيك عن قارورات الماء البلاستيكية الفارغة ولطالما تضرر من هذا الرشق لهذه المواد الفاعلون في ميدان اللعب، حيث عرفت إحدى مباريات البطولة الجزائرية وفاة أحد اللاعبين، وهو أجنبي، إثر تلقيه حجر أصابه في رأسه وهذا الحادث لم يؤد إلى توقف حركية العنف في الملاعب الجزائرية . بل أن كمون العنف في فضاءات الملاعب أساسا ثم محيطها المباشر، والذي غالبا ما يكون الفضاء العمومي الحضري ازدادت حدته. وأصبحت مباريات البطولات في كل المستويات تطغى عليها الاعتبارات الأمنية أكثر من الاعتبارات الرياضية، فالرهان الأساسي في الكرة الجزائرية هو ضمان سلامة المباريات أكثر من ضمان الفرجة والمتعة، وفي كثير من الحالات يتحول ميدان كرة القدم إلى نوع من حلبة صراع وشجار ومشدات بين شباب "مناصرين" للعنف ومظاهره أكثر من مناصرة الجانب الرياضي في حد ذاته. «اجتاح مساء أمس أنصار شبيبة سكيكدة ميدان ملعب 20 أوت بسكيكدة، ... بداية الاحتجاج كانت برمي القارورات إلى الميدان. قبل أن يختلط الحابل بالنابل، حيث أصيب محافظ الشرطة بجروح وعدد من الأنصار، نقلوا على إثرها إلى مستشفى سكيكدة...وتجدر الإشارة إلى أن ملعب 20 أوت 55 قد عرف توافدا كبيرا لعناصر الشرطة، وهذا بعد اجتياح الأنصار لأرضية الميدان التي فر منها لاعبو الفريقين، وحتى الأشخاص المتواجدون بخط التماس في سابقة لم يشهدها ملعب سكيكدة»[16].

ويمكن أن نأخذ كذلك عينة أخرى من تطرق الصحافة الوطنية إلى مظاهر العنف في ملاعب كرة القدم والتي هي عبارة عن عنف الشباب ضد بعضهم البعض: «وجد امن ولاية وهران صعوبة كبيرة في تفريق الأنصار الغاضبين من فريقهم، خارج ملعب الشهيد أحمد زبانة...بعد أحداث الشعب التي ميزت المباراة المتأخرة عن الجولة 25 من البطولة... بسبب اجتياح عدد معتبر من الأنصار لأرضية الميدان...واضطر رجال الشرطة إلى استعمال الغازات المسيلة للدموع لتفريق الأنصار الغاضبين...كما تمكنوا من إيقاف 53 مناصرا منهم ثلاثة اجتاحوا أرضية الميدان وحاولوا الاعتداء على الرسميين... وسيقدم هؤلاء الأنصار الموقوفون ...أمام وكيل الجمهورية صباح اليوم بعد أن وجهت لهم اتهامات تتمثل في محاولة الإخلال بالنظام العام وتحطيم ممتلكات الغير والاعتداء على رجال الشرطة الذين جنبوا الأحياء المجاورة لملعب زبانة حدوث الكارثة، خاصة أن عددا كبيرا من الأنصار الغاضبين حاولوا تحطيم السيارات والحافلات بسبب عدم تقبلهم النتيجة التي انتهت عليها المباراة ...أما فيما يخص عدد المصابين فقد بلغ ثلاثون شخصا، من بينهم سبعة من رجال الشرطة تعرضوا إلى الرشق بالحجارة ونقلوا إلى

المستشفى على جناح السرعة ...يذكر أن تشكيلتا الفريقين لم تغادر ملعب الشهيد زبانة إلا بعد أكثر من ساعتين ونصف من إعلان الحكم عن توقيف اللقاء قبل موعده الرسمي، وذلك بسبب أعمال العنف التي شهدتها الأحياء القريبة من الأحياء، حيث رفض رجال الأمن أن يسمحوا للاعبين والطاقم الفني والإداري لكلا الناديين بالمغادرة حفاظا على سلامتهم وذلك حتى استتب الأمن خارج ملعب احمد زبانة»[17].

كما يتضح من هذا المقال، فإن المحيط الحضري المحاذي للملعب كان فضاءا مواتيا ومناسبا لاستمرار مظاهر العنف التي انطلقت من الملعب والتيقد يكون منشطوها ومن يمارسونها أفراد لم يكونوا حاضرين بالضرورة في ميدان الملعب ذاته. هؤلاء الأشخاص يجدون الفرصة مواتية ليندرجوا ضمن ذلك التيار الاجتماعي الذي أشار إليه إميل دوركايم وارتكاب أفعال لم يكونوا ليرتكبوها لو لم يكن السياق الاجتماعي الذي انجر عن إجراء مباراة رياضية مناسبا ومؤديا إلى هكذا ضروب سلوكات وممارسات عنيفة. ويمكن أن نشير كذلك إلى أحداث عنف وشغب، اعتبرت السنة الماضية قمة ممارسات العنف في ملاعب كرة القدم في الجزائر، وطرحت مسألة أخلاقية بالدرجة الأولى، عندما انطلقت تساؤلات وانشغالات تتحدث كلها عن كيفية حدوث أحداث خطيرة في ملعب كرة قدم، من خلال اشتباكات بين الأنصار الذين هم في غالبيتهم من الشباب. حيث كانت هناك صدامات عنيفة ومواجهات وتراشق بالحجارة والقطع الخشبية التي تم اقتلاعها من المدرجات، كر وفر. وهذا كله بعد يومين فقط من حادثة أليمة عرفتها الجزائر من خلال تحطم طائرة عسكرية بالقاعدة العسكرية ببوفاريك غرب الجزائر، والتي راح ضحيتها كل ركابها واغلبهم من فئة الشباب. فالعنف الذي يمارسه الشباب في الملاعب والذي يمتد إلى خارج الملعب كما شاهدنا ذلك، ما وقع لأحد مناصري فريق من الجزائر العاصمة في المباراة ذاتها التي جرت في قسنطينة يوم 13 أفريل 2018 ، حيث تم تعرضه لعنف من طرف مجموعة من الشباب بكيفية كادت أن تودي بحياته، كل هذا يؤشر على أن العنف الحضري في الجزائر من خلال مؤشر أو خاصية العنف الممارس من طرف الشباب ضد بعضهم البعض لهو واقع فعلي يمكن أن نفسره انطلاقا من التحول والتغير الذي يعرفه المجتمع الجزائري. ومن بين محاولات التفسير السوسيولوجي التي قد نجدها، يمكن أن نشير إلى حالة اليأس الوجودي، أو الوضعية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية التي يتواجد فيها هؤلاء الشباب:« إننا نقترح أن عدد المراهقين المنحدرين من الطبقات الشعبية يواجهون اليأس الذي يتولد من القناعة أن موقعهم في البنية الاقتصادية هو ثابت ومستقر نسبيا- وهو يأس حاد تزيد من حدته تعرضهم للايدولوجيا الثقافية التي تعتبر عدم قدرتها على التوجه نحو المستويات الاجتماعية العليا بمثابة خطأ أخلاقي والتي

يكون فيها الإخفاق نحو الحراك الصاعد بأنه دليل على هذا العجز»[18]. معنى ذلك أن هؤلاء الشباب أو المراهقين الذين يصوبون عنفهم نحو بعضهم البعض سواء في ملاعب كرة القدم أو في الفضاءات الحضرية الأخرى، وفي الأماكن التي تعرف توافدهم وتواجدهم أكثر من الفئات العمرية الأخرى يمكن أن يفسر من منظور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يتواجدون فيها.فغياب الموارد الاقتصادية والثقافية عندهم من شأنه أن يخلق لديهم وعيا بالدونية مقارنة بأقرانهم ممن هم في أحسن وضعيات اقتصادية واجتماعية ورمزية ثقافية، خاصة وأن عرض مظاهر الثراء الخارجي في المجتمع الجزائري أصبح بارزا وظاهرا للعيان ومن جهة أخرى، فإن النجاح الاقتصادي والاجتماعي في كثير من جوانبه لا ينم عن سيرورة اجتماعية طبيعية، مما يجعل الحراك الاجتماعي الاقتصادي في كثير من الأحيان غير واضح المعالم، وهذا ما من شأنه أن يؤدي إلى إنتاج تمثلات وأشكال وعي لدى العديد من فئات الشباب الذين قد لا يتوفر لديهم (الحظ) الاجتماعي الذي يمنحهم الفرصة من أجل التموقع الاجتماعي في مستويات تسمح لهم بإمكانية الاستهلاك السلعي والرمزي، وهذا الوضع قد يولد لديهم أشكال حرمان يعبرون عنها عندما تتوفر الظروف والسياق المواتين، سواء بمناسبات رياضية أو سياسية أو ثقافية تسمح بالتجمهر وحشد الجموع عن طريق عنف ضد بعضهم البعض.هناك إذا أسباب سوسيولوجية موضوعية تدفع بهؤلاء الشباب إلى ممارسة هذا العنف، حيث يرى مرتون (1980-2003) أنه « ...يمكن لبنيات اجتماعية في حالات معينة أن تدفع بعض الأفراد لأن يكون لهم تصرف منحرف عوض أن يكون لهم تصرف ممتثلا.انه ينطلق من افتراض مفاده أن بعض المجموعات تكون " أكثر تأثرا" بـ " الضغط الاجتماعي" وهذا ما يؤدي إلى إمكانية " أن توجد لديها نزوع كبير نحو الانحراف"، وهذا نظرا إلى " الوضع الاجتماعي الذي يوجدون فيه "[19].

2-5- تجارة المخدرات وانتشارها

لم يعد المجتمع الجزائري في منأى عن استهلاك للمخدرات وهذا ما يثير المخاوف الاجتماعية وأصبح تهريب المخدرات والاتجار بها من القضايا التي تستقطب اهتمام المجتمع الجزائري.كما أصبحت العديد من التجمعات السكنية والأحياء فضاء لانتشار نشط لظاهرة المخدرات. فهاهي الصحافة الوطنية تطلعنا عما يحدث في هذه التجمعات الحضرية بخصوص المخدرات.فجاء في مقال عن جريدة الخبر بتاريخ 28 أفريل 2018 ما يلي: « تلاميذ المدارس والثانويات أول الضحايا.عصابات المخدرات وقطاع الطرق يزرعون الرعب. أحياء خطيرة على الغرباء في الولاية.انتشرت في الأعوام الأخيرة، وبصورة مخيفة، مختلف أنواع المخدرات في مدن وأحياء وقرى ومداشر ولاية

بومرداس تخطت حتى أسوار المدارس والاكماليات والثانويات بتواطؤ صيادلة . حي 1588 مسكن ببلدية سي مصطفى ... من أهم الأماكن الساخنة المعروفة في بومرداس بالانتشار الرهيب للمخدرات، السرقات، العنف وقطاع الطرق... وبمجرد ولوجنا أزقته حذرنا أحد السكان من عصابات تصطاد الغرباء ... حيث لمسنا قلقا كبيرا وسط أهالي البلدية بعد انتشار عصابات ترويج المخدرات. وحسب السكان وتجارها، الجريمة استفحلت في الحي، خاصة ترويج المخدرات والمهلوسات، في ظل غياب دوريات الدرك الوطني ليلا وانعدام مركز امني. ما فسح المجال لنشاط العصابات بالمنطقة التي ساعدها الظلام الدامس... ويضاف إلى هذا المشكل، غياب المرافق الشبانية ومناصب الشغل وانتشار البطالة...» [20]. يمكن القول أن انتشار المخدرات في الفضاء الحضري الجزائري لهو مؤشر على حالة التذمر الاجتماعي الذي يميز العديد من الشباب الجزائريين، وهو دليل على انتشار نوع من ثقافة فرعية، وهي ثقافة الشارع الموازية للثقافة العائلية أو المدرسية .لأن تعلم المخدرات وتعاطيها لا يكون إلا في حالات هامشية انحرافية . بل هناك من الباحثين في علم الاجتماع من يعتبر هذا الاقتصاد المتعلق بالمخدرات بمثابة نمط حياة جديدة أمام ضعف تأثير نمط الحياة العادية، أي أن معايير الانحراف التي يبثها اقتصاد المخدرات يصبح لها تأثير أكثر من المعايير المعمول بها عادة في الحياة الاجتماعية العادية، هذه المعايير الانحرافية التي ستؤدي إلى نوع من الضبط الاجتماعي المنحرف يندرج ضمنه من يقوم بعرض المخدرات ومن يقوم بطلبها :« بالنسبة إلى بعض الباحثين في علم الاجتماع، فإن اقتصاد المخدرات الذي اقتحم الأحياء أدى إلى وجود نمط ضبط اجتماعي جديد وهو ليس فقط بمثابة تعويض لضعف الموارد لكنه يصبح بمثابة نمط حياة جديد »[21]. وهذا ما يجعل العنف الحضري المرتبط بتجارة المخدرات، يجد أمامه نوع من المستقبل، وسيعرف نوع من الاستمرارية لأن الأمر لا يتعلق بموارد اقتصادية ومالية، بل أصبح كما اشرنا سابقا بمثابة نوع من الثقافة التي تترسخ أكثر فأكثر، وأهم دليل على ذلك هو تنامي ظاهرة اقتصاد المخدرات – عرض وطلب لمادة المخدرات بكل أنواعها – بالرغم من الجهد الأمني والقضائي الكبيرين في الجزائر لمحاربتها .هناك علاقة قوية إذن بين بزنس المخدرات والعنف الحضري. ومن جهة أخرى يمكن لهذا النوع من التجارة أن يلعب دور المعوض للبطالة والتهميش المادي « في الواقع يمكن لهذا الاقتصاد الجزئي المنحرف أن يلعب دور المخفف عن البطالة والإقصاء. إنها تمنح فرصة الحصول على موارد متنوعة يمكن لشباب يتواجدون في حالة هشاشة أن يستغلونها»[22]. وإن كانت هذه التجارة تسمح لبائعي هذه (السلعة) الممنوعة من التموقع في نظام الاستهلاك والحصول على مداخيل إضافية قد تكون هامة، فإن الأمر قد لا يكون كذلك فيما يتعلق بالمستهلكين،

سيما إن كانوا من الفئات الاجتماعية الدونية والمهمشة وذات الدخل المنخفض والتي تسعى إلى الحصول على هذا المنتوج مهما كلفها الأمر، وهذا ما قد يؤدي بها إلى استعمال عنف، إما ضد الأشخاص، مثل طلب باستعمال سلاح ابيض، تسليم هواتف نقالة، أو سرقة في أماكن معينة، أو ضد ممتلكات سيما سرقة سكنات أو سيارات من أجل الحصول على مبالغ مالية تسمح باقتناء هذه المخدرات بكل أنواعها والتي تعود عليها هؤلاء الشباب وأصبحوا مدمنين عليها. كما يتم في كثير من الحالات تفسير مظاهر العنف الحضري التي يلجأ إليها الشباب بتأثير المخدرات على ممارساتهم وأفعالهم.

3-5-العنف ضد المؤسسات

يتعلق الأمر هنا بمعرفة نوعية العلاقة التي يقيمها الشباب خاصة بالمؤسسات العمومية.لأن هؤلاء الشباب يعتبرون المنشط والفاعل والطرف الأساسي في إشكالية العنف الحضري. فمن الانتظارات التي يعبر بها الشباب تجاه المؤسسات العمومية يمكن أن نتعرف عن رد فعلهم من هذه المؤسسات العمومية التي تتواجد معظمها في الفضاءات الحضرية . فعلى العموم يمكن أن نقول إن هذا النوع من العنف « يستهدف الشرطة، المدرسة، المصالح الاجتماعية، المواصلات، التجهيزات الجماعية، وكذلك رجال المطافئ والأطباء »[23]. إن هذه العناصر التي تستهدف في حركية العنف الحضري يجب أن نأخذها بنوع من الحذر فيما يخص واقع المجتمع الجزائري. وحتى وإن كانت إمكانية وجودها واردة، فإن امتدادها وانتشارها قد لا يكون بنفس الحدة والانتظام اللذان يكونان عليهما في فضاءات اجتماعية أخرى، وفي مجتمعات لها من الخصوصيات السوسيولوجية والتاريخية ما يجعلها تختلف في كثير من الملامح عن المجتمع صر الجزائري.

فبالنسبة إلى العلاقة مع الشرطة ومصالح الأمن عموما، فإن الشيء المميز لهذا العلاقة هو غياب طابع المواجهة بين الشباب الجزائريين ومصالح الأمن، وحتى لا نقول إن هذه العلاقة تتسم بالود. وهذا ما يمكن أن يفسر بغياب مواقف الاستفزاز والتصعيد من طرف مصالح الأمن في الجزائر، صحيح أن ثمة تجاوزات قد تحدث وتنتج، ولكنها تبقى مجرد تجاوزات من طرف أفراد في إطار معزول وهامشي ولا يلزم البتة المؤسسة الأمنية. فثقافة الاستفزاز ليست منتشرة لدى مصالح الأمن في الجزائر،كما أن ثقافة التحدي لا تؤطر أشكال وعي وتمثلات الشباب الجزائريين. فالمشدات تكاد تكون شبه منعدمة بين مصالح الأمن وهؤلاء الشباب.

أما بخصوص العناصر الأخرى، فيمكننا القول إن مصالح الحماية المدنية ليست محل أي عنف أم تجاوزات من طرف الشباب في الجزائر نظرا إلى الإدراك غير السلبي والتمثل المثمن ايجابيا لما تقوم به مصالح الحماية المدنية في الجزائر، فعمل مصالح الحماية المدنية سيما في الكوارث الطبيعية، فهو محل انتظارات كبيرة من

طرف كل فئات المجتمع، مع الإشارة إلى أن المؤسسة الاستشفائية يمكن لها أن تكون محل عنف يستهدف أساسا من طرف المرضى ومرافقيهم .كما يمكن أن يحدث أن العاملين بالقطاع الطبي أن يمارسوا عنفا ضد القادمين للعلاج أو مرافقيهم[24]، أما المؤسسات التربوية، فهي عموما في منأى عن التخريب من طرف الأفراد الذين يتعاطون العنف الحضري. والعنف المميز للمؤسسات التربوية والتعليمية هو العنف الذي يتم بين التلاميذ فيما بينهم، أو الذي يكون موجه ضد المعلمين والأساتذة ونادرا ما تكون المدارس كـهياكل وبنـايات محل عـنف مادي ضـدها. والأمر كـذلك بالنسبة إلى المصالح الاجتماعية، التي تنتظر منها الفئات الاجتماعية التي تواجه صعوبات وجودية الكثير من الخدمات والمساعدات.

تبقى التجهيزات الجماعية والمواصلات، حيث يمكننا القول إنهما محل عنف حضري واستهـداف كثيرا ما يتكـرر، خاصة مع وجود مناسـبات تجـمهر وتواجد حشود أو تيارات اجتماعية كما اشرنا إلى ذلك مع إميل دوركايم. ومع هذا النوع من العنف الحضري الذي يمس بعض التجهيزات الجماعية والمواصلات على غرار تخريب مصابيح الإنارة العمومية. ومخابئ الحافلات، وخاصة رشق مركبات النقل بالسكك الحديدية بالحجارة التي تظهر فيها ما يعرف باللاتحضر (incivilité) في شكله التعبيري الواضح. يمكننا القول أن العنف الحضري " الناعم" (soft) هو إحدى الميزات التي يعرفها الواقع الاجتماعي الجزائري ولو كنا نرى أن العنف الحضري مهما كان شكله ونوعه هو عنف في نهاية المطاف. واستعملنا عبارة ناعم لأنه لا يلزم إلحاق الأذى الجسدي بصفة آنية ومباشرة بالأشخاص الذين يستهدفهم . ويمكننا أن نضيف أن هذا« اللاتحضر يضم الشـتائم، التهديدات، سلوكات عدم الاحتـرام، الضـجيج، تدهور إطار الحياة »[25].

5-4-أعمال الشغب

يمكن القول إن أهم ميزة أصبحت عليها العديد من المجتمعات منذ ثمانينيات القرن الماضي هي بروز الشغب كشكل من أشكال التعبير الاجتماعي، فعديد هي المدن في العالم، بل حتى بعض الأماكن البعيدة نسبيا عن المراكز الحضرية التي يندلع فيها الشغب :«في الواقع، أصبحت أعمال الشغب التي كانت وتيرتها متقطعة في ثمانينيات القرن الماضي، تتميز بالطابع المستمر والدائم منذ التسعينيات من القرن الماضي، وأصبحت تمس كل المدن، وحتى المدن المتوسطة والتي غالبا ما تعرف بأنها مدن هادئة، بل حتى بعض القرى، بحيث لا يتردد الشباب في مواجهة قوات الأمن، وأحيانا يكون ذلك بمناسبة حادث بسيط»[26].

والمجتمع الجزائري عرف كذلك أعمال الشغب منذ الثمانينيات كانت أوجها أحداث 5 أكتوبر 1988. التي تميزت بطابعها العنيف جدا، وأظهرت إلى الواجهة فئة الشباب كفاعل أساسي وكمنشط لهذه الأحداث.

ومن أهم المميزات التي تطبع الشغب في الفضاءات الحضرية هو المواجهة العنيفة مع قوات الأمن، مما يجعل من الشغب بمثابة عنف تعبيري استعراضي بالأساس يوجه ضد مؤسسات الدولة ومصالحها، وكذلك ضد الممتلكات على غرار حرق السيارات. فعلى سبيل المثال، فإن ثقافة حرق السيارات والمحلات التجارية والأملاك العمومية ليست منتشرة لدى الشباب الجزائريين في أشكال العنف الحضري القوي (Hard) الذي يلجأون إليه. لكن قد نحضر إلى حالات وممارسات حرق السيارات. خلال أعمال الشغب مثلما شاهدنا ذلك في أحداث 5 أكتوبر 1988، وأعمال شغب ديسمبر 2011 كرد فعل على إشاعات بارتفاع أسعار بعض مواد الاستهلاك الأساسية.

ففئة الشباب التي تلجأ إلى الشغب تكون حاملة لبعض الخصائص الاجتماعية يكون فيها التهميش والإقصاء الاجتماعيين السمتين البارزتين. فغالبا ما يكون الشباب الذين يكونون في الواجهة من الفئات الاجتماعية الهشة اقتصاديا وثقافيا، إذ يكونون في حالة تسرب مدرسي[27]، ومن العائلات ذات العدد الكبير لأفرادها، وفي حالة بطالة، ويواجهون أزمة سكن منذ فترة طويلة نسبيا، وهم في حالة انسداد من حيث آفاق المستقبل، إلى غيرها من الخصائص والمميزات التي يحملونها على غرار ثقافة الشارع التي أصبحت القاسم المشترك للعديد منهم: « وهذا ما ينمي لديهم في غالب الأحيان نوع من الغضب الشديد المتعدد الأشكال والذي إن لم يوجه ضد أنفسهم يثبت على الآخرين، سيما على ممثلي المؤسسات... ».[28]

لكن الشيء الذي نلاحظه بخصوص أعمال الشغب في الجزائر منذ الألفية الجديدة هي أنها ذات طابع مطلبي، تحتل فيها مسألة السكن حصة الأسد.فعادة ما تشير الصحافة الوطنية إلى اندلاع أعمال الشغب في مناطق حضرية من البلاد، بعدما يتم الإعلان عن قوائم السكنات الاجتماعية. وفي هذا الإطار لم يعد منشطو أعمال الشغب من فئة الشباب المهمشين والعاطلين عن العمل والمتسربين من النظام المدرسي أي الشباب الذين هم في الهوامش الاجتماعية، وإن كان هؤلاء من ضمن الأشخاص الذين يلجأون إلى أعمال الشغب، بل نجد أرباب عائلات، لهم مناصب شغل وأجور قارة ومنتظمة، بل حتى نساء في حراك أعمال الشغب. وعلى العموم، فان أعمال الشغب الحضرية في الجزائر، لا تتميز بوضوح مطالب اجتماعية معينة، ويطغى عليها الجانب غير المنظم وصفة الارتجالية. وأن تطورها ووضوحها التاريخيين مرتبطين بحالة التحول والتغير المتعدد الأوجه الذي عرفه المجتمع الجزائري منذ ثمانينيات القرن الماضي،

فعلى سبيل المثال لم تعرف الجزائر حالات شغب اجتماعي في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. لان الأوضاع الاجتماعية كانت غير الظروف الاجتماعية التي عرفتها الجزائر في ثمانينيات القرن الماضي والظروف الحالية للمجتمع الجزائري.هناك إذا علاقة بين الظروف الاجتماعية التي يعرفها المجتمع وحالات الشغب وأشكالها ووثيرتها على العموم.

الخاتمة

الاستنتاج العام

حاولنا في هذا المقال أن نبين أن العنف الحضري في المجتمع الجزائري ظاهرة ملموسة ومنتشرة في الفضاء العمومي في الجزائر. مثلما يتبين لنا ذلك من مطالعة صفحات الجرائد الوطنية اليومية. كما تبين كذلك أن ما يسمى بالمسألة الأمنية ليست مطروحة بحدة في الفضاء الإعلامي الجزائري.صحيح أن الصحافة الوطنية تتعرض تقريبا إلى القضايا الأمنية التي يحتل فيها العنف الحضري بمختلف أشكاله مكانة وحيزا هامين، لكن من دون تهويل أو البحث عن الإثارة، وإن كانت المعالجة الإعلامية تلك لا تمنح مكانة هامة إلى محاولات فهم كيفية سير هذا العنف الحضري ومنطق حراكه، بحيث لا تمنح وضوحا للخطاب الذي من شانه أن يسمح بإعطاء تفسير بصفة موضوعية لهذه الظاهرة.

توصلنا في هذه الدراسة إلى وجود نوع من الخصوصية الجزائرية في ممارسة العنف الحضري وهذا راجع إلى خصوصية المجتمع الجزائري فعلى سبيل المثال، لم نجد في مطالعتنا للصحافة الوطنية في هذا الموضوع وجود ووضوح بارزين لظاهرة المجموعات المنظمة (bandes organisées) التي تميز العديد من الدول، على غرار فرنسا والولايات المتحدة أو بريطانيا، التي غالبا ما تمارس نشاطها في العنف الحضري، سيما المشدات مع مجموعات أخرى، والتي تتميز بتواجدها في أماكن معينة، ولها العديد من السمات السوسيولوجية: «تمثل المجموعة الشبابية للحي تجمعا للشباب يستند إلى هوية إقليمية ترتبط بمقر الإقامة لأعضائها في الأحياء الشعبية، وستقوم في هذا الحي بتقديم إسقاط منظم عن المستقبل.و تضم هذه الجماعة مراهقين انقطعوا عن الدراسة، ومنحرفين، يشكلون مجموعات متغيرة من حيث عددها. ومن هذا الانحراف الذي عادة ما يفرض على هؤلاء الشباب تستمد هذه المجموعات حركيتها وتلجأ إلى نوع من المطالبة بالاستقلالية الإقليمية التي سيقوم عليها التهريب والعنف »[29]. فمثل هذا غير موجود بصفة طبق الأصل في الجزائر.صحيح هناك شبكات ومجموعات إجرامية تمارس مختلف أنواع التهريب، لكن ليس هناك وجود لمجموعات منظمة في الأحياء الحضرية تمارس "نشاطها" بصفة منتظمة وفي العلن، مثلما عليه الحال في فضاءات حضرية أخرى خارج الجزائر.

صحيح أن العنف الحضري في المجتمع الجزائري قد يشترك في كثير من مظاهره مع ما هو موجود في مجتمعات أخرى، لكن تبقى الخصوصية الجزائرية ذو بعد لا يمكن نفيه ونزعه عن واقع العنف الحضري الجزائري، هذه الخصوصية الجزائرية كذلك ترجع إلى ما عرفه ولا يزال يعرفه المجتمع الجزائري من تحولات وتغيرات اجتماعية هيكلية غيرت كثيرا من ملامحه عما كان عليه في السابق، وجعلت من اللجوء إلى الشغب أهم سمة مقارنة بالمظاهر الأخرى لأشكال العنف الحضري في الجزائر. هذا الشغب الذي يبقى في دائرة الاحتجاج الاجتماعي سيما مع مشكلة السكن، والذي قد يؤدي إلى مشادات مع قوات الأمن وانطلاق أشكال عنف لا تدوم طويلا ولا تتسع رقعتها الجغرافية وتبقى محصورة في فضاء انطلاقها، وغالبا ما يتم فيها غلق الطريق السيار باستعمال اطر العجلات التي تضرم فيها النار، وتوضع كتل من الحجر، أو جذوع الأشجار، لكن غالبا ما يتم احتوائها وتطويقها من طرف قوات الأمن.

هذه على العموم بعض مظاهر العنف الحضري في المجتمع الجزائري التي تبقى في علاقة مع جملة التغيرات التي مست المجتمع الجزائري منذ نهاية ثمانينيات من القرن الماضي، والتي تطبعها وتعطيها إيقاعا واتجاها وخصوصيات معينة.

يسمح لنا الاهتمام العلمي السوسيولوجي بظاهرة العنف الحضري في الواقع الجزائري بمعرفة الاتجاهات الحالية لمجتمعنا. وكذلك التوقف عند العديد من مؤشرات التحول والتغير الاجتماعيين للمرحلة الراهنة للمجتمع الجزائري.كما يسمح هذا التناول العلمي بإعطاء التفسير الموضوعي لظاهرة لطالما أثارت ردود فعل ومخاوف متعددة الأشكال. ويمكن للخطاب الصحفي أن يؤدي إلى وصم الأحياء التي تكون مسرحا للعنف الحضري، من جهة أخرى يمكن لمظاهر العنف الحضري أن تعبر عن حالة التذمر التي تعيشها هذه الأحياء وحالة المعاناة التي تمر بها، وحالة الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية التي يوجد فيها فئات الشباب الذين يلجأون إلى ممارسة هذا النوع من العنف، من جهة أخرى، فانه وإن كان لهذا العنف الحضري نقاط مشتركة مع ما هو موجود في مجتمعات أخرى، فهناك كذلك خصوصية جزائرية في مسألة العنف الحضري في الجزائر. ويبقى لنا أن نشير إلى أن المقترح العلمي أو التوصية العلمية هي الابتعاد عن التهويل لهذه الظاهرة أو ابتذالها أي « التحدث عنها بكيفية أخرى والبحث عن التعرف عنها أكثر... فالصحفيون هم معنيون في المقام الأول، وأيضا المقررون والباحثون يعنيهم الأمر كذلك...في هذا الشأن أصبحت هناك ضرورة مستعجلة أن يكون لهؤلاء الباحثين وعي بأهمية الموضوع وأن يوحدوا جهودهم في هذا الاتجاه »[30]. هو ذا الرهان العلمي الذي يتعين على علم الاجتماع في الجزائر أن يكسبه في محاولة التعرف وتفسير ظاهرة العنف الحضري في الجزائر والمساهمة في إيجاد مقترحات للحد من انتشارها.

الهوامش

1-Mucchielli Laurent, Sociologie de la délinquance, 2éme édition, Paris, Armand Colin, 2018, p.25.

2-Soullez Christophe, Les violences urbaines, nouvelle édition, Toulouse, Edition Milan, SDE, p.4.

3-https://www.droit-nantes.fr, Loué Nicolas, Rassoul Hosny, Simonnot Jimmy, Violences urbaines. Criminologie 2007-2008, , p.1, consulté le 25 décembre 2017,16h.

4-إميل دوركايم، قواعد المنهج السوسيولوجي، ترجمة سبعون سعيد، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2008، ص.40.

5-https://www.Cheper Hughes, Bourgois P., cités par Addi Lahouari, "Contribution. Pour une approche sociologique de la violence urbaine en Algérie". Le Soir d'Algérie. com/articles 20/ 5/ 2013, consulté le 18 /7/ 2018, 15h 30.

6-معمرية بشير،الجعفري ممدوح، حامد عبد الكريم نهى،أمقران عبد الرزاق، نقلا عن قايمانيومان، السلوك العدواني في الجامعة و دور التربية في مواجهته، الجزء الأول، القاهرة المكتبة العصرية، سلسلة "دراسات لمشكلات السلوكية في المدارس و الجامعات العربية"، 2007، ص.133-134.

7-Ansart Pierre, Akoun André (sous la direction), Dictionnaire de sociologie, Paris, Le Robert-Le Seuil, 1999, p.565.

8 -Bresson Maryse, Sociologie de la précarité, Paris, Armand Colin, 2007, p.36.

9 -Charles- Henry Cuin, Gresle, Histoire de la sociologie, tome2 : Depuis 1918, Paris, Editions La Découverte, collection « Repères» , 1996, p. 32.

10 -Chapoulie Jean-Michel, La tradition sociologique de Chicago 1892-1961, Paris, Editions du Seuil, 2001, p.106-107.

11 -Ibid.,p.97.

12-ميشاوي عبد الناصر،"10 جرحى في معركة طاحنة بين فريقين باستعمال السيوف بباتنة"، الشروق اليومي، الثلاثاء 17 أكتوبر 2017، العدد 5608، ص.9

13- Avenel Cyprien, Sociologie des " quartiers sensibles", Paris, Armand Colin, Collection 128, 2004, p.73.

14-Trogger Vincent, "Peut-on mesurer objectivement la violence scolaire?", in Violence(s) et sociétés aujourd'hui, ouvrage coordonné par Bedin Véronique, Dortier Jean - François, Auxerre, Sciences Humaines Editions, 2011, p.45.

15-Durkheim Emile, Les règles de la méthode sociologique, 21ème édition, Paris, Quadrige/ PUF, 1983, p.7.

16-فلوري عباس،" جرحى واشتباكات في اجتياح الأنصار للميدان"، الخبر،السبت 27 جانفي2018، ص.13.

17-بن زرقة ع.، "امن وهـران يحـيل 53 منـاصـرا على العـدالة اليوم"، الخـبر، الأحـد 15 أفـريل 2018، ص.15.

18- Mauger Gérard, La sociologie de la délinquance juvénile, Paris, Editions La Découverte, collection "Repères", 2009, p.51.

19-Mucchielli Laurent, op.cit., p.31.

20 - علوان احمد ، " عصابات المخدرات و قطاع الطرق يزرعون الرعب ببومرداس"، الخبر، 28 افريل 2018، ص.21.

21-Avenel Cyprien, op. cit., p.76.

22-Ibid., p.77.

23-Ibid., p.82.

24-انظر بخصوص هذه النقطة زعتير فاطمة،العنف في المؤسسات الاستشفائية. دراسة سوسيولوجية بمستشفى حمو مكور، ولاية عين الدفلى، قسم العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة علي لونيسي، البليدة2، السنة الجامعية2015-2016.

25- Bresson Maryse, op. cit., p.54.

26-Bachmann Christian, Le Guennec Nicole, Violences urbaines, Paris, Hachette Littératures, 2002, p.500.

27-انظر بخصوص التسرب المدرسي د.دريوش وداد ، التسرب في المدرسة الجزائرية. المرحلة الثانوية نموذجا ، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2017.

28-Beaud Stéphane, Pialoux Michel, Violences urbaines, violences sociales. Genèse des nouvelles classes dangereuses, Paris, Librairie Arthème Fayard/Pluriel, 2013, p.343.

29-Bauer Alain, Soullez Christophe, Violences et insécurités urbaines, 12ème édition, Paris, PUF, Collection "Que Sais- Je?", numéro 3421, p.48.

30-Mucchielli Laurent, Violences et insécurité. Fantasmes et réalité dans le débat français, Paris, La Découverte, 2012, p. 139-140.